الحُلـــْمُ الأسطـــوريُّ
The legendary dream

«وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ»

{ البقرة: ١٥٥-١٥٧}

نسأل الله أن يتغمده بواسع رحمته، وأن يسكنه الفردوس الأعلى من الجنه، وأن يكون شفيعاً لوالديه ومحبيه (يوم القيامة).

الحلم الأسطوري

كنتُ كُلَّما جئتُ من سفري، لم يُعزِني الأهلُ والناسُ اهتماماً مثلما رأيتُ اليومَ، فحينما خرجتُ عُنوةً من أرض المطار، وخُتمَ جوازُسفري ولم أُبصره؛ وجدتُ حُشوداً من البشَرِ، تتماوجُ تماوجَ الأمواجِ العاتية في عُرضِ البحر الواسعِ الشَّاسِعِ، في يومٍ ماطرٍريحهُ هوجاء .

ومن شدة فرحهم أو غضبهم أو حزنهم . لستُ أدري . حملوني على الأعناق وأبثكم سِراً كنتُ سَعيداً ومنتشياً، أحسستُ بكياني وإنني لم أعد طفلاً بل أصبحتُ رجلاً وبطلاً هُماماً يُشارُ إليهِ بالبنان، تذكرتُ إنني لم أتمم حُلمي الذي كان يراودني يوماً، ولكن عنجهية الاستقبال حشرت في نفسي تلكَ الرؤى والأوهام، بأنني لا تعد لي حاجةٌ من الدراسةِ والتعبِ والنصبِ والمذاكرة، وغضب أبي المتكرر ونذق أمي التي طالما وبختني،قائلة:

- لماذا لم تذاكر لتكن مثل فلان وفلان .

استشعرتُ بكياني عند هذا اللقاء الحاشد، كنتُ أسمع لهم همهمات ودعوات وصلوات وتبريكات؛ فأدركتُ أن البطل له قيمة كُبرى، ويُستقبل دائماً هكذا ..

حاولتُ بتململي وانحنائي وتمددي، أن أُلطفَ بهم وأن أشاركهم الحدث، ولكنهم كانوا دائماً يحرصون على راحتي، كانتْ تكلُ أيادي البعض، وتتسابق أيادٍ أُخرى تلتقطني، وأنا البطل المُتوج فوقَ الرؤوس أنظرُإليهم من عالٍ، جموعٌ تتزاحم وتتداخل وقد ضاقتْ بهم الطُرقات وسُدتْ بهم عين الشمس، وأضحكُ في نفسي مُتسائلاً:

- ماذا حققتُ من مجدٍ لهذا المهرجان الاستقبالي الحافل .

لوكُنْتُ أعلمُ مايحدث لي من هذا الاستقبال الأسطوري؛ لحققتُ

هذا الحُلمَ مُنذُ زمنٍ بعيدٍ، ولكن طمأنتُ نفسي «لكل أجلٍ كتاب»، فهأنذا اليوم حققتُ مالم يحققه مَنْ حصل أعلى الشهادات والمراتب والمناصب ..

تذكرتُ من الشخصيات التاريخية التي كان يُدَرِّسُهَا لي أبي، ذلك الأسطوري «الإسكندر الأكبر» الذي كان يُشبهني وسامةً، وفي مثل سني العشرين، الذي تَمَلَّكَ الأفئدةَ بفُتوحاتهِ الهائلة بسبب عبقريته، وكانت بداية «روبسبير» الرائعة والذي تبنى مبادئ ثورته الشهيرة في فرنسا « العدل والحرية والمساواة»؛ فالتَّفَ الشعبُ تحته كما التف تحتي .. إنني أتخلى عن هذا المجد المُزيف ، فالمجدُ هو رضى ربي وجنة الخُلد، وأن أكون شفيعاً لأبي وأمي وأخوتي يوم الدين .. إني مُنْتَظِرُكُمْ فلا تقلقوا ..!!

صمتُ حين صمتوا، وتوقفتُ حينما توقفوا عن النهنهات وأنزلوني، وهاهم يركضون ويصطفون صفوفاً مُنتظمةً، منتصبةً قاماتُهم، يرفعون أكفهم إلى آذانهم، وكانت قطرات رحماتهم تتنزلُ عليّ، فتغسلني بالماءِ والبَرَدِ، كما يُغسلُ الثوبُ الأبيضُ من الدَّنسِ، أرضعوني دعواتهم ورحماتهم، وعادوا لما كانوا عليه وجدتُ نفسي مرةً أخرى فوق رؤوسهم؛ فملأني العُجبُ بنفسي واحتفالهم بي .

وأخذتُ أتمددُ وأتمددُ حتى انحشرتْ رأسي بين جدران بيتي الضيق، فكأنهم أدركوا ذلك؛ فأنزلوني على عجلٍ وفتحوا بابه، وأدخلوني بيتاً واسعاً يليقُ بتمددي كيفما أشاء، وأقفلوا عليّ وتركوني أتمددُ حتى انفجرتُ؛ عندها أدركتُ إنني كُنتُ مُلغماً بالأوهامِ ....!!